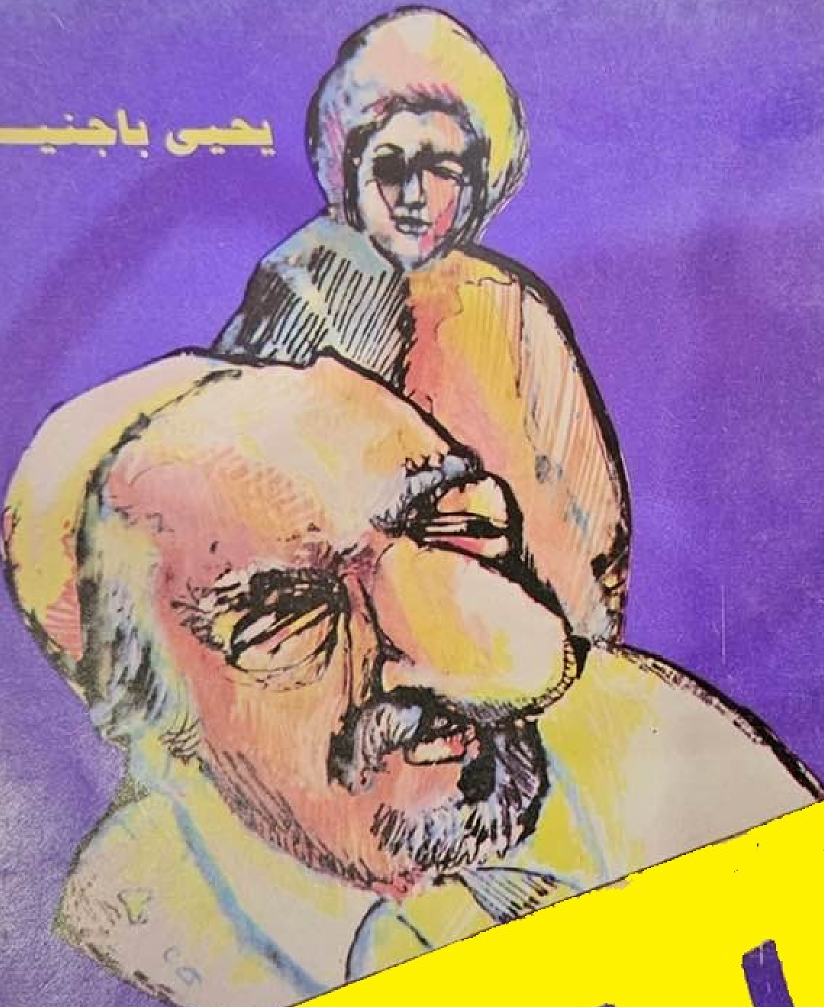
يحيى باجنيد



راجل ونص!

راجل ونص

يحيى باجنيد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

هذا الكتاب ليس فيه حكمة . . ولا فائدة منه . . اشار عليّ بعض أصدقائي بنشره . . فمن ابتلى بقراءته واراد أن يستمطر عليّ وعليه «شيئا» فليخص أصدقائى بنصيبهم . . فمن العدل ان نقتسم كل شيء!

يحي

مقدمة

بقلم : عبدالله جفرى

قبـل أن أحـاول تقديم هذا العمل الادبى الذى أصبح مصانا الان بين غلاف كتـاب ، وكنت دائم الالحـاح على الكـاتب ان يسارع الى طبـاعتـه ، وقبـل أن «نفتش» فى معانيه وأبعاده وجودته ، وانسحب من امام القارىء والناقد بعد هذه الصفحات الاولية . .

قبـل ذلـك كله . . أحرص أن أقدم شخصية الكاتب ـ فى البدء ـ وان كان اسمـه معروفاً من خلال خدماته التى قدمها للصحافة المحلية ، وعـبر مسـاهماتـه «الفنيـة» كرسـام كاريكـاتـير ، ودراساته للديكور، وخبرته فى الاخراج الصحفى .

لقـد زاملت الصـديق الاستـاذ «يحيى باجنيد» فى العمل الصحفى عنـدمـا عملنا معـا يداً واحـدة على مدى ثلاث سنـوات فى صحيفة «البلاد» . . كان مكتبى بجانب مكتبه ، ولكننا كنا نعمل فوق مكتب واحـد ، ونضحـك ضحكـة واحـدة ، ونتألم ألمـا متحـدا ونعانى معاناة التوأم . . وفى كل ذلك كنت أعتبره الفأل الطيب لى ، والحظ الحسن

الـذى يرافقنى ، والابتسـامـة السـاخـرة التى «نـرسمهـا» فوق شفتى الامسيـات التى سهـرنـاهـا معـا . . ملونـة بحبر المطبعة ، وبأحلامنا وطموحاتنا وتعبنا!

وفى اللحظة التى يتهيأ للواحد منا أن السماء ستطبق على الأرض - فى الشعـور بالحـزن أوفى الغضب - كان الـواحـد منـا يتطلع الى وجه الاخـر، ويسأل : ترى . . هل هنـاك مايـدعوللعبوس من أجل هذه الـدنيـا؟! . . وكـان هو الـذى يسـارع - فى الغالب - بالاجابة قائلا : لا/ اعتقد، فمن الاحسن أن نضحك. ونضحك بمنتهى البساطة والسهولة!

من هنـا وبهـذه الروح الجميلة والبسيطة - استطاع «يحيى باجنيد» أن يكتسب قدرة وميـزة الكـاتب السـاخـر، وان يكتب - بتميـز أيضا - العبـارة الـراقصـة الضـاحكة ، وان يرسم بالكلمات الموقف الكوميدى ولعـل من أبـرع ماحـرص عليـه فى أسلوبـه . . أنـه يعـالـج المـوقف الدرامى ، بالطرح الكوميدى فى بلادنا منذ الرعيل الأول ، وحتى هذا الرعيل «الطيش» الذى نحن فيه!

ان كتّـاب الادب الفكـاهى أو الكـوميدى أو الضاحك ، قلة تعد على أصابع اليد ، وربما توقفنا عن لون من الكتابة التى امتزجت فيها الفكاهة بالسخرية اللاذعة وتمثل ذلك اللون فى بعض أعمال : حسين سرحـان ، وأحمـد السبـاعى ، وطـاهر زمخشرى ، وأحمد قنديل ، ولقمان يونس ، وأخـيرا عصـام خوقـير ، وان كان «لقمان يونس» يرحمه الله . . أكثر هؤلاء قدرة على امتاع القارىء بالضحكة الساخرة ، وأما الدكتور «عصام خوقير» فهو أكثر هؤلاء قدرة على «تصوير» الكوميديا .

ويأتى بعـد هؤلاء من الشبـاب : يحيى باجنيد . . وقد انضم الى صفـوف هؤلاء الكتـاب - خفيفى الـدم - باضـافـة جديـدة ، لعله فى منطلقـه بها كان شديـد الاعجـاب والتأثـير بالاديب الشـاعـر - النـاثر

الضـاحـك «أحمـد قنديل» يرحمه الله ، ولكن «القنديل» بروحه الشعبية الملتصقة بالتراب وبالتراث . . كان ينفلت فى بعض صوره الى شىء من قراءاتـه ومكتسبـاتـه الفكرية ، والى رومانسية الشاعر فيه . . بينما نجـد فى الصـورة والمـواقف التى كتبهـا «يحيى باجنيـد» تشبعـاً بالبيئة الشعبيـة المغـرقـة أوهى البيئـة التى يتشكـل منها الوسط الفقير ، وكما يقول الناقد المعروف الدكتور محمد يوسف نجم :

- «ان بيئـة القصـة هى حقيقتهـا الـزمـانيـة والمكانية ، أى كل مايتصل بوسطها الطبيعى ، وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم وأساليبهم فى الحياة»!

وليس شرطا ان يكون الكاتب قد تعرض لنفس التجربة ، أو عاش فى ذات البيئـة منتميـا الى زمـانهـا ومكـانهـا ، فالكـاتـب الامـريكى ، «أرسكين كالوديل» كتب رواياته العظيمة - البالغة فى تجسيد قسوة الفقر والحيـاة - مثـل : طريق التبغ ، وأرض الله الصغيرة . . ولم يكن منتمياً الى زمـانهـا ومكانها بمعنى الهوية والمولد ، ولكنه شاهد التجربة وعاين المكـان ، واستمـع الى كثير من الحكـايـات والصـور ، واندس بعض الـوقت فى نقيـع تلك البيئة ، وبذلك يستطيع كل كاتب مبدع ومرهف أن يصور ، بل ويجسد بصدق حقيقة الملامح الانسانية والزمانية والمكانية!

ومن ملاصقتى للكـاتب الـزميـل «يحيى باجنيـد» أعرف أنه كان حفيا ومهتـما بترصـد وتسجيـل وتصـوير الملامح والسمات الشعبية الدقيقة ، ووضع المفارقات بينها وبين الحياة العادية التى عاشها فى طفولته وصباه ودخـل اليهـا أو ابتعـد عنها فى نضوجه . وتلك الحفاوة منه تنطبق عليها عبارة قالها «فرانسوا مورياك» فى تعريفاته للكاتب المصور أو الرسام ، قال فيها :

- «الى أى مدى يكـون أبطـال الـروايـة وبطـلاتـهـا ، وأكثرهم مساكين

أشقيـاء ، الى أى مدى يكـونـون صورا طبق الاصـل من الاحياء ، أو صورا شمسيـة منقحـة؟ الجـواب عن هذا صعب عسير ، اذا أردنا أن نواجـه الحقيقـة عن كثب ، فالحيـاة تمد الروائى والكاتب بقسمات وجه من الـوجـوه وبرؤ وس حوادث لاتند عن الواقع وبمشكلات عادية قد يكون لها شأن اذا اقترنت أحوالها بأحوال أخرى»!!

أصـل بعـد هذا الى خلفيـة ، ثم الـوان الصـور الشعبيـة التى رسمها المـؤلف بالكلمات وقـد استمدها من جذور المجتمع ، أوجذور البيئة ، وهى فى طرحها تأتى مابين السخرية والاضحاك .

ومثلما هناك قصيدة شعبية ، أو شعر زجلى ، أو «مقامة حلمنتيشية» كما كانـوا يعـرفـون هذا اللون من الكتـابـة على أيام «طه حسين» و«بيرم التونسى» . فهناك أيضا قصة شعبية ، وحكاية زجلية ، وصورة كوميدية .

والعبـارة التى كتبهـا «يحيى باجنيـد» فى حكـاياته الشعبية . . تبدو أكثـر ميـلا الى الـواقعيـة المباشرة ، فهو يجعلها تنطق اللهجة الشعبية ، وتـؤدى الحـركـة العفوية ولاتجد فيها التصوير الرومانسى الحالم ولكنك تلاحـظ عليهـا خفـة الـروح ورشـاقـة التعبـير والجـاذبية التى تدعوك للاستطراد خلف السطور بامتاع .

ولعل «يحيى باجنيد» مازال حتى هذه اللحظة مترددا فى تقديم هذه المـلامـح الشعبيـة ذات المخـاطبة الصادقة ، ولكنى أجد فى هذا اللون عطـاء جديـدا يختلف عن ألـوان هذا السيـل من الكتب الجادة جدا ، فالقارىء اليوم ـ فى هذا العصر المتوتر والحايس! يحتاج الى محطة راحة بالكلمة . . الى الصور التى تسخر مما يرهقه وترتفع به الى التفاؤ ل أو على الاقل الى تجاوز الارهاق .

لقـد استفـاد «يحيى باجنيـد» من دراستـه الاكـاديميـة فى ايطـاليا لفن الـرسم، والـديكـور والكاريكاتير . . فانبعث من داخله هذا الكاتب الكاريكاتورى «المدوكر» الانيق!!

جده/ **عبدالله جفرى**

تاكسي



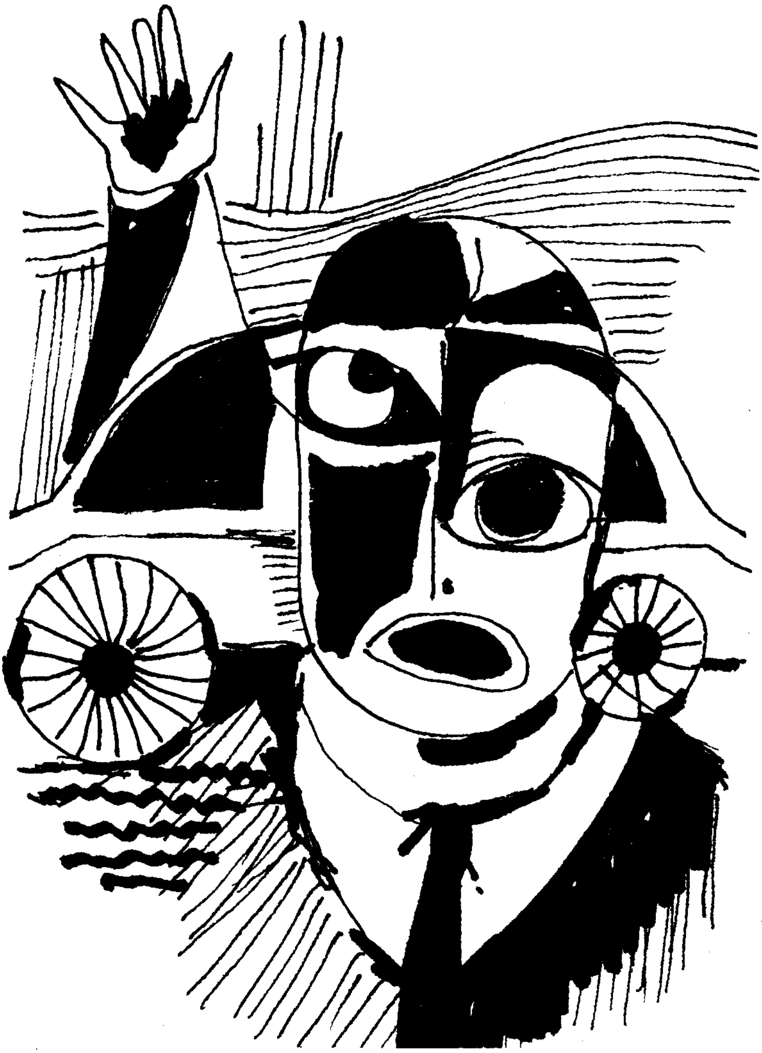
تاكسى

أصبح ركوب «التاكسى» بالنسبة لى شرا لا بد منه . . فيتعين على كلما اضطرنى حظى الى ركوب احداها ، ان اتذرع بصبر ايوب . . واتجلد بما أوتى أولو العـزم ، لأحتفظ بهدوئى ، وأمسك آخر ماتبقى من النخاع فى رأسى . . وألهج بكــل ما أحفظـه من آيـات دفـع البـلاء وكشف الضـر . . ومـاتيسر من البسملة والحوقلة . . وافوض أمرى قبل وبعد ذلك كله لله .

وهـذه المضـايقـات لاتأتى من باب أو نافذة فأنت لاتكاد تعرف لها رأسا أو ذنبا ! !

بعض أصحـاب «التـاكسى» يتمسكـون بقاعدة «الموت لا يأتى الا مرة واحـدة» . . ولـذلـك فهم يفضلون الطيران بدلا عن السير الذى أصبح فى زعمهم ـ مظهرا من مظاهر «الجبن» والزيتون وخلافه . . !

واحـاول ان أفهم أحـدهـم اننى اتفق معه فى أن الموت فعلا لا يأتى الا مرة واحـدة لكننـا يجب أن لا نسعى اليـه بأنفسنا حتى وإن كنا نخوض معركة شرف وكرامة . . فلا يأبه لما أقول .



وأحاول أن أقنعه بأن السير بهدوء، لايدل مطلقا على أى نوع من «الجبن» . . بل هو على العكس يدل على المسئولية والحرص والانتباه . . ولا أكاد ألفظ الكلمة الاخيرة . . «الانتباه» حتى يرتطم أنفى بالزجاج بعد ان ضغط الاخ فجأة على «الفرامل» . . وكأنه يريد أن يثبت لى أن الانتباه حاصل ولله الحمد والمنة . . وهنا أضع رأسى بين راحتى وأسأل الله حسن الخاتمة . .

وبما أن التجديد ضرورة يفرضها العصر، فان أصحاب العصر، قد أخذوا على عواتقهم - عافاهم الله - ابتكار المضايقات كلما دعت الحاجة . .

ومن هؤلاء فئة مفرطة الرقة فى المشاعر، مرهفة الاحساس، الى الحد الذى لايصبرون معه على طعام واحد - واعنى بالطعام الواحد الراديو - فقد الحقوا به «بيك اب» مع اعداد هايفة - أقصد هائلة - من الاسطوانات - الشديدة التأثير التى تأخذ بمجامع الافئدة والاوردة، وتنفخ الفشة والكبدة وتفقع المرارة . . !

وهكذا . . يعمل التأثير النغمى السمفونى عمله فى اخينا، فيأخذ رأسه فى التماوج، وتنتقل العدوى الى يديه، ثم الى السيارة، فتتمايل يمنة ويسرة وكأنها ترقص على مزامير الجان . . فاقول له وقد وصلت روحى الى فمى . .

- يا أخانا . . اتق الله فى نفسك ونفسى وأهلك وأهلى . . ومالك ولا مال لى . . وسيارتك ومشايتى . .

ويطلق الاخ - الفاضل برضه - ضحكة مجلجلة تحولت فيما بعد الى

سعال متواصل، ظننت معه انه أصيب بذات الرئة أو ذات «اللحسة والهوس»!

وقد حرصت، فيما بعد، على الأبتهال إلى الله بهذا الدعاء «اللهم ألن لى قلوب أصحاب التكاسى كما ألنت الحديد لداوود وأنزل فى قلوبهم الرهبة منى كما لو كنت أحد رجال المرور . . »

وقد رحم الله ضعفى وقلة حيلتى وهوانى على أصحاب التاكسى، فكان ماسأرويه لكم . .

■ وقفت ذات يوم انتظر والسيارات تمر من امامى مشغولة، وقد سألت الله ان يأتى بتاكسى ويوقفه يحملنى عليه . . وفتح الفتاح بواحد ابن حلال «ودرويش من الغلابا يابا».

واتخذت لنفسى جلسة بيزنطية، بعد ان شددت باب السيارة التىّ . . ولم امهل السائق حتى يفتح فمه أو يدير احدى الاسطوانات فقد قذفته بسؤال عن الاحوال والصحة والمعارف . . ثم عرجت على الصيف وشدته، ومايتتج عنه فى بدن الانسان من «اكلان» يتبعه «حككان» . . وما ان يهم بالكلام حتى يجد ان الحديث قد انتقل الى مضار التدخين، وخطره على الانسان . . وهنا يتدخل الاخ ليخبرنى - رغم انى رأيت علبة سجائر بجانبه - بأنه يكره رائحة الدخان، ثم يروى لى قصة رجل - فى ديرتهم - مات بالتدخين، وكان رحمه الله قد نظم قصيدة قبل وفاته كان مطلعها:

عَسَاكْ عْند الكَسُرْ لا بارك الله فيكْ غليونْ
عَنّيتْ روحى وانا مافدْت منك الا الخساره

وبلغ الانشراح بالرجل مبلغه، فقررت ان أنقل الحديث قبل ان ينفلت على سيل من شعر الاولين والاخرين . . فقلبت له اسطوانة

«كيف الصحة» «وكيف الحال والعيال» قبل ان أطلب منه الوقوف ، لانني وصلت الى المكان الذى أريد .

وقبل أن أضع يدى فى جيبى - كنت عازما على وضعها فى جيبى فعلا - امسك الرجل بيدى حتى ظننته سيكسرها وراح يصيح:

- على الطلاق ما انت مادّها . . .

وكان عليّ أن أختار أحد أمرين . . فاما ان أجادله واسلم يدى للمجبر . . واما ان أذعن واخلص يدى من هذه الكلبشة !

طبعا اخترت سلامة يدى . . وتخلصت ممن كاد أن يطلق زوجته من أجل «كيف الصحة وكيف الحال»!!

راجل ونص



«راجل ونص»!!

بلغنى أيها القارىء العزيز أنه فى يوم .. فى شهر .. فى سنة - لا أذكرها الان - حدث - كما هى العادة دائما - أن انتقل الى رحمة الله النجل الثانى عشر لجارنا أيام الدنيا دنيا ..

فقد كان على أهل الحى ان يظهروا حزنا عميقا مشاركة لـ «الراجل» فى مصابه ..

و «راجل» اسم اطلقه على نفسه، بعد ماتبين له أن مظاهر الرجولة لاتتوفر فى احد غيره .. والحقيقة اننى ادركت ميزة يمكن ان يكون لها اعتبار، فهو ينفرد باذنين طويلتين بها فيه الكفاية.

وارتفع سعر «البصل» يومها .. فقد كان على الناس ان يظهروا تأثرهم بهذا المصاب الجلل.

وتزاحم الجيران على «الراجل» يوسعونه تقبيلا، وكان يقابل تعازيهم باللطش .. والسعيد السعيد من تشرف بصفعةعلى مؤخرة الرأس!



وقد كانت هذه المناسبة فرصة طيبة ليؤكد للجيران أنه لايزال «الراجل»:

- اسمعوني . . انني - بكل أسف - انتمى الى هذه الحارة والى هذا العصر الذى لن أجد فيه مايشرفني كرجل «حمش».

قالت أمى، بعد أن تعطفت وتلطفت وسمحت لها بمخاطبتى، انك ياحبة عيني وياسيد امك وأبوك وصلت الخمسين!

وبما ان «الراجل» يجب ان يورى «الحريم» العين الحمرة فقد فرصعت لها عيني قبل ان أقول:

وايش عرفك . . ؟

فأخبرتني بعد تردد، بأنها نهضت البارحة من غرفتها لتغطيني خشية أن يصيبني البرد فوجدتني أشخر واجتر - كعادتي - بقايا العشاء وبملامسة اسناني اكتشفت انى بلغت الخمسين.

ويكمل «الراجل» حديثه فيقول:

- هراء أيها السادة. ولكن لنفرض أنني وصلت الخمسين لازلت - على كل حال - أشعر بحيويتي ونشاطي الى الحد الذى يمكنني فيه أن أحمل «الحرمة» من شعرها وادلدلها من السطوح مثلما يلف احدكم على اصبعه سلسلة المفاتيح . .

وعندما ضحك الراجل كان مفعول البصل قد زال من العيون، فزعزع كل واحد من المعزين من بجانبه، فانتقل المأتم الى هيصة وزمبليطة لاتليق بـ «الراجل» فشخط فى الحاضرين وخص آباءهم بما جادت به قريحته من عبارات ودية . . ثم أعلن أحدهم أن محاضرة تربوية قيمة سيلقيها صاحب المأتم بعد ان اكتشف ان الحاضرين ينقصهم التهذيب:

- ايها السادة . .

تعلمون ان الدنيا مافيها خير وان شباب اليومين دول خرعين . .

مالهم هم الا أنهم يروحوا المدارس فى الصباح ويرجعوا بعد الظهر . . ويتغدوا ويناموا الى العصر ويخرجوا يتمشوا الى المغرب ويرجعوا البيت ويذاكروا الى العشاء . .

وبعـدين يتعشـوا ويـرقـدوا . . يعنى الانسـان مايستفيـد منهم شىء . . ويضيعوا وقتهم فى كلام فارغ . .

وبما أن النار ماتعقب الا رماد فقد انجبت ١٢ ولدا . . واتبعت فى تربيتهم اسلوبا جديداً . فقد حرمت عليهم المدارس لأن المدارس ما منها فايده . . وكما قال الشاعر :

اذا جاءك العفـريت اصحى تِدَخّلهُ
فى المـدرسـة واسمـع كلامى وشغله
خلـيّـه فى الـدكـان بدل ماتـعـزلـه
يفـتـح عيـونـه والـعـصـا يا تعَـقّـلهُ

ومن أراد له ولابنه الفلاح فعليه ان يتبع هذه التجارب وسيذكرنى بالخير :

١ ـ قبـل ان يطلع النـور صحى ولـدك بنفسـك ، ولا تخلى أمه تصحيه لأن الحـريم قلبهم رقيق . . ويستحسن «البـاكـورة» . . واذا لم تتـوفر فعليـك بالرفس فقد اثبتت التجارب فعاليته . . وعندما ينهض متمايلا عاجله بلطشـة فى المنطقـة الممتـدة من زاوية الفم الى مؤخرة الاذن . واياك ان تشفق عليه لان «الضرب مايموّت» .

٢ ـ عنـدمـا يسَلّم على يدك لاتعوده على أن يقول لك «صباح الخير» حتى لا يتجـرأ عليـك بالكـلام ، لان الصغـار عيب يتكلمـوا مع الكبار . . فاذا حدث منه ذلك اخبطه على فمه وقل له «اقلب وجهك ياواد وسيب الفصاحة»

٣ ـ عوده ان يأكل «نونو . . نونو . . » وان يترك الاكل قبل الكبار حتى لو لم يشبع ولا بأس ان تقرمِعَه بالمعلقة على اصابعه بين وقت وآخر. وهذا مجرب لفقد الشهية . . وقال الشاعر:

ان السفطور والعشاء والسغدا
مفسدة «للواد» أى مفسدة

٤ ـ ارسله قبلك ـ يبسط الدكان وعندما تلحقه عاجله بلطشة وقل له ـ ولكن بسرعة ـ «كم لطشت من الدرج ياولد؟» فيظهر لك ان كان مذنبا أو بريئا . . فان ارتبك فهذا يعنى انه سرق . . واذا بكى فمعنى ذلك أيضا انه سرق . . وماعليك ـ على كل حال ـ الا ان تبيته فى الحمام . . عندما يخيم الظلام . . وعد إليه فى الصباح فان وجدت ان سنونه عظام ووجهه من قدام فكرر العقوبة بانتظام . . فتبلغ الغاية التى لاترام.

٥ ـ عندما تتدخل أمه لتتوسط له عندك عاجلها بضربة وشدها من شعرها واسحبها على الدرج حتى لايظن الولد ان له فى البيت حماية . . ويستفيد من هذا الدرس ويستعمله مع زوجته اذا ماقدر له ـ وهذا احتمال ضعيف ـ ان يعيش الى ذلك الوقت لان «الموت استر له».

وانتهت المحاضرة . . وكانت محل اعجاب المحاضر نفسه . حتى انه وعد بالقاء محاضرات يومية.

ومالت رقبته غليظة . . وارتفع الشخير وتسلل الخلق الى منازلهم ليلحقوا ماتبقى من الليل ويستعدوا لمحاضرة الغد.

استاذ (فلفل شطه)



استاذ «فلفل شطة» . !

سمعت اليوم خبرا، مزعجا . . «ابن البقال» ـ زميل من أيام الدراسة كانت تربطنا به صلة «حلاوة وبسكوت» ـ ألمت به وعكة خفيفة . . كان لابد لنا ان نزوره باعتبار ماقد سلف من الفضل . . و«لا ينسى الفضل الا قليل الاصل» .

كان الطريق طويلا لكن الوقت والجويشجعان على قطع المسافة «كعابى» . . واستعدت ذكريات الدراسة . . انها أجمل أيام حياتى . . امتعها . . رغم مافيها من عفرته وشقاوة . . وخيزرانات ينوب عنها الركل ـ أحيانا!

كان زميلنا ـ والحق يقال ـ أكثر حظوة منا لدى الاستاذ . . فهو يخصه بكل جديد من البواكير والعصى . !

كان «ابن البقال» ـ هكذا يحلو للاستاذ أن يدعوه ـ هدفا لوشاياتى . ولا انسى ـ طبعا ـ عندما أكتب اسماء المشاغبين ان أضع اسمه فى رأس القائمة . . هذا قبل ان توثق «بقالة والده» اواصر الصداقة بيننا .

واذا أردنـا أن ننصف الاستـاذ يجب أن نقـول أنه رجل «حرك» . . شطة . . فلفل لا يؤمن بانصاف الحلول رغم دنوه من الستين . . وهو مخلص بشكـل يفـوق العـادة . . حتى انـه كان يعطى لكـل فصل فى المـدرسـة حصـة اضافية بدون مقابل . . وخوفا من هروب الطلبة فان استاذنا يتخذ اجراءات حراسة مشددة فما ان تنطلق «الصفيرة» معلنة انتهـاء الحصـة السـادسـة حتى يدخـل المدرس . . يسير بشكل يشبه القفز كما لو كان يمشى على أطراف المسامير . يمضغ شفتيه على نحو متـواصـل . . احـدى يديه مسمرة الى جانبه بينما اليد الاخرى تمسك عصاة تستند على كتفه كسلاح المقاتل.

ويلقى المـدرس المتعب نفسـه فوق الكـرسى وقـد تقطعت أنفـاسه ويخـــرج المنـــديـــل ـ كما هى العـادة دائـما ـ ويمسـح به وجهـه المبتـل بالعرق . . وقبل أن يبدأ يجد أن نصف الفصل قد تبخر.

وتمـر بالمسكـين لحظـة ذهـول . . «ان عفريتا من الجن لا يمكن ان يخطف ١٥ طالبا بحقائبهم فى لحظة واحدة» . .

وكـان علىّ ان أوضـح هذا اللغـز للاستـاذ وأقول له انهم قفزوا من النوافذ الى الحوش بعد ان سبقتهم الحقائب .

ويطلب الاستاذ ان اسجل اسماء الهاربين وأقدمها اليه فى الغد . . ثم ينهض و«يفش» «غليله» فى «ابن البقال» باستجواب غريب .

ـ انت هنا اذن يا «ابن البقال؟»

ـ نعم ياأستاذ . .

ـ وهـل تظننى مغفـلا الى هذا الحـد . . كان من الممكن ان لا تكـون موجودا فى الفصل . . !

وقبل ان يجيب زميلنا العزيز يقترب الاستاذ منه ملوحا بعصاه مستطردا :

اعنى ان فكرة الهروب تروق لك . . لكنك لم تجد الفرصة!

ـ أبدا والله يا استاذ . .

وهـذا اليمـين كان كافيـا عنـد الاستـاذ فهـو رجـل تقى لا يحب الظلم . . وغير مجرى التحقيق فجأة:

هل عملت واجبك؟

وتعثـر لسـان المسكين وقد فوجىء بتحول الموضوع وقبل ان ينجده لسانه كان طرف «الخيـزرانـة» قد استقر بين كتفيه . . وعندما حاول الابتعاد عن الاستـاذ اصطـدمت يده بقارورة الحبر المفتوحة فتطايرت محتوياتها على ثوب الاستاذ الذى تحول فجأة الى فستان مزركش . . لن أقول لكم ماحدث بعد ذلك . . !

●★●

وصلت الى منـزل زميـل الدراسة «أخونا فى البهدلة» وقد قررت ان لاأعرج على الماضى من قريب أو بعيد فقد كان ذلك يخجلنى كثيرا .

وفعـلا كان الحـديث بعيـدا عن هذا المـوضـوع جدا جدا . . فقد تحدثنا عن المرحلة التى وصل اليها كل منا وعلمت ان زميلى قد حصل على مستوى علمى ممتاز . !

ولم يفت زميلى وهو يودعنى أن يبتسم ويقول:

لاتنس ان تكتب اسمى فى قائمة المشاغبين . . الله يكافيك ياشيخ!

أوحشتنا ياعم محمد

«كيف حالك ياعم محمد؟؟» . . «أوحشتنا ياعم جابر» . . وتلفت يمينا وشمالا لعلى أجد . . «عم محمد» أو «عم جابر» لكن أحدا لم يكن يسير فى هذا المكان . . واذن . . فأنا المقصود بهذه النداءات . . وأقول وأنا بكامل وعيى وادراكى ان أهلى لم يطلقوا علىّ أيا من هذين الاسمين فى تلك اللحظة التى أضيف فيها على الدنيا عبء ثقيل . .

وأحاط بى ثلاثة من خلق الله كل منهم يجذبنى اليه على أنه هو الذى أمسك بى أولا . . تماما كما لو كنت غنيمة . . الم يجدونى فى أرض الله؟

وأصبحت كالاطرش فى الزفة . . ومالبث ان حمى الوطيس بين الثلاثة المذكورين «وارتفعت الاصوات قال أحدهم : »

ـ عجايب والله . . أقول لكم «عم جابر» عميلى . . كيف؟!

قال الثانى :

ـ الله يهديك هذا جارى من أيام الدنيا دنيا
وتصدى لهما الثالث بحجة دامغة :
ـ عيب ياجماعة تكذبون . . «جابر» ايش . . هذا «عم محمد» راعى الدكان اللى عند خشم السوق كل يوم آخذ مقضاتى من عنده . . «عجايب»!!

أما والحالة هذه فيتعين علىّ ـ شئت ام ابيت ـ ان أكون عم «جابر» وعم «محمد» فى آن واحد أو ان أكون احدهما ـ على الاقل ـ

ولا يراكبنى اسم عم جابر ـ طبعا ـ ليش؟ سأقول لكم : انا اعرف انى لم أكن جابرا فى يوم من الايام . . وكثيرا ما احتجت الى من يجبر بخاطرى . !

ولا ادرى كيف تنازل الاثنان عنى لزميلهم الذى يدعى باننى صاحبه عم «محمد» راعى الدكان اللى عند خشم السوق . . ربما وجد كل منهما عمه «جابر» . . فيكفى ان تمر بحلقة الغنم لتصبح فى نظر البائعين عم «جابر» جارهم من أيام الدنيا . . أوعم «محمد» صاحب الدكان . . وقد تصبح «الشيخ سعيد» ولد خال عمة أبوجدتهم . . من يدرى؟!

وهكذا اقتادنى الرجل مرغما الى مربط أغنامه بعد أن قال لى : «فينك من زمان ياعم محمد»؟

ووجدتنى أجيبه : بأن مشاغل الدنيا كثيرة . . وان الدكان يحتاج الى جهد كبير . .

فتساءل دون اهتمام :
ـ دكان؟ ايه الدكان . . الله يحييك ياعم «محمد» . .

وجذب نعجة ضامرة هزيلة من رقبتها وقال :

الطلى ياعم محمد . .

واستجمعت كل ما أبقت لى الايـام من شجاعـة لأفهمه بهدوء تدرج فيها بعد الى ان أصبح انتحابا، باننى لا احتاج الى خروف . .

واننى مررت بالحلقـة صدفـة وأنـا مستعـد لاعطائه تعهدا خطيا بعدم المـرور من هذه المنطقـة ابدا شريطة ان يطلق سراحى . . لكن الرجل تجاهل كل ماقلت :

- وايش تقول فى الطلى؟!

- استغفر الله . . وماذا يمكننى أن أقول عنه أخ نبيل كريم . .؟؟ وهذا الطلى - نعجـة - ينفـرد بمميـزات كثـيرة . . وهـو لا يـزال شابا وأمامه مستقبل كبير .

- خلاص اشتر يه يا «عم محمد» . .

وحـاولت ان أفهم الاخ ان من تتـوفر فيه هذه الصفات من الطليان يحتـاج الى تعهـد وعنـايـة خاصة . . كأن ينام مثلا فى وقت معين . . ويأكل فى وقت معين ، كما انه يحتاج الى مربيه ومدرس خصوصى . . وهذا ماليس لى قبل عليه .

وماكدت انتهى من كلامى حتى صاح بى الرجل :

مُدّها ياعم محمد . .

ولم أفهم ما هذه التى يريدنى ان أمدها . .

ـ أقول لك مدها . . مد يدك . .
ومـددت يدى كما كنت افعـل أيام الكتاتيب عنا . . وتوقعت ان تنزل باكورة على كفى ، ولكن الرجل صافحنى قائلا : صلى على النبى :
وصليت على النبى ﷺ وسمعت الرجل يقول بعد ذلك :
الله يبارك لك . .
ـ يبارك لى فى أى شىء ؟؟
فى « الطلى » . . هيا عدها . .

وأدركت متأخـــرا ان المـزح لم يعـد له مكـان هنـا فالمسألـة جد . . وفهمت اننى قد اشتريت « نعجة غلبانة » على انها « طلى » بـ « ٨٠ ريالا » (١)

(١)
[تذكروا ان هذا الكلام عمره عشر سنوات ولكى يكون معقولا الان ينبغى ان يضرب بـ ١٠]

اللى يستحوا ماتوا



« اللى يستحوا . . ماتوا » !

اليوم جمعة . . ماكدت اغفو حتى سمعت دويا عنيفا فأيقظت « ام العيال » لأسألها عما اذا كان على السطح متاع تخاف عليه ان يبتل لان السماء ستمطر . . وهاهو الرعد يدوى والصواعق تقصف .

فوبختنى قبل أن تخبرنى بأن السماء صحو والرياح شمالية . . الى شمالية غربية معتدلة . . ولاتغير يذكر فى درجات الحرارة ؟!

لكن الدوى متواصل لا يكاد ينقطع ولم أدعها تغفو حتى أيقظتها ثانية ، وطلبت منها أن تعد ملابسى التى سأذهب بها الى « المشهد » فقد ثبت عيد الفطر وهاهى مدافعه تدوى .

فأخبرتنى بنفاذ صبر اننا فى شهر ربيع الثانى و . . « يامثبت العقل والدين » . . ولم اقتنع الا بعد مراجعة التقويم .

وتبين لى أخيرا ان هناك قرعا خفيفا . . لطيفا . . ظريفا على الباب . . هذا كل مافى الامر والأمر لله !



وجمعت اشلائى التى مزقها القصف لافتح الباب فوجدت شخصا بادرنى بالسؤال عن الصحة والاحوال وابدى لى أسفه على ازعاجى فهونت عليه الامر لكنه استمر فى اللطم والانتحاب . . وأعاد على مسمعى تأسفاته على ازعاجى فأكدت له اننى فى غاية الامتنان والسرور لمقدمه وان شعوره بالخجل ليس له مبررلان « اللى يستحوا ماتوا »

وأخبرته بأنه رجل رقيق جدا جدا وحساس جدا جدا جدا ولهذا يتوهم أنه يزعج الناس بينما هو يسدى اليهم خدمة انسانية عندما يشرفهم بالزيارة فى وقت مناسب جدا جدا .

ورأيت من الواجب ان أدعوه للدخول فقال وقد سبقنى الى غرفة الجلوس :

- ياشيخ مافى داعى خليها فرصة ثانية .

وجلس على استحياء قبل أن أجلس وقال برضه على استحياء :

- أرجوك لاتكلف على نفسك . . الموجود !

ولا أعلم كيف خطر له اننى سأكلف نفسى بشىء فأكدت له ان هذا الاعتقاد مرده احساسه المرهف ، والواقع اننى لن أكلف نفسى بل حتى الموجود سأعتبره غير موجود . !

- انا مانى غريب ياأخى . .

- العفو . . أنا غريب ولازم الاخ عجيب !

وزلزل المبنى بضحكة رشيقة وهو يقول :

- « غريب وعجيب » شىء بديع . . غريب وعجيب تصور . . !

وخشيت ان يقضى الضيف الكريم الليلة كلها يسرد على

الحوادث المشوقة فى قصة « غريب وعجيب » ليس لاننى مرهق واحتاج الى النـوم كأى مخلوق فى هذه الـدنيـا ـ العفـو ـ لكننى خفت أن يتأثـر صاحبنـا الـرقيق الحسـاس بأحداث هذه القصة فيفطر منه الفؤاد دوام التــلافيف والانفحــة فلا أجـد بيطـريـا يعتنى به وسألتـه عما اذا كان باستطاعتى ان أقدم له خدمة . . أى خدمة مقابل هذا الشرف العظيم الذى طوق به عنقى الى حد الاختناق.

ـ فقــدم نفســه الى على أنـه « مطنب » تفتحت مواهبـه على صوت صاحب الاغانى أبو الفرج الاصبهانى .

فسألته عما اذا كانت صلته بالرجل وثيقة . فقال : بأنه صاحبه من الروح للروح . . فقلت له :

عظيم جدا . . لاتنس اذن ان تطلب منـه أفـراد صفحـات لك فى الطبعة الجديدة من كتابه الى جانب اسحاق الموصلى ومحمد بن عائشة وزرياب .

وشكـرنى على هذه المـلاحظة القيمة ومقابل ذلك أبدى استعداده بأن يسمعنى صوتا وأى صوت !

فسألته وأنا أحاول أن أثنيه عن عزمه :

ـ بدون عود أو كمان ؟ مايصير يا أستاذ !

وزلزل المبنى بضحكة أخرى قبل أن يقول لى :

ـ هذا هو سر الموهبة هذا هو المحك ألم أقل لك «دنا البتلونى» «١»

وفهمت أن هذا الفـالت جاء قبـل أوانه فهويستعمل أنفه وأصابعه بدلا من الكمان . . أما الايقاع فتحل محله ـ كما قال لى ـ أى صينية فى المطبخ .

وأخـــبرتـــه ان النحـاس مكـوم ولم أغسله بعـد . . وانني مدين له بالشكر والعرفان اذا تلطف وتعطف وشاركني فى هذا العمل الانساني ولا أدرى ما الذى أغضبه . . فقد نهض الرجل ناقما على الناس الذين لا يقدرون المواهب فنهضت لأغلق الباب خلفه .

حقيقـة . . انني أحتـاج الى فهم يقصـر عنـه تفكـيرى المتـواضع لتقدير المواهب خاصة عندما تصل الى المطبخ !

١ - « البتلوني » هو المحامي في « الجنة العذراء » وهو مسلسل جميل . . من المسلسلات الجميلة . . التي كان يعرضها التلفزيون « من زمان » !!

مهندس يدُّو ماهرة



مهندس « يدو ماهرة » !

التقيت اليـوم بجـارى فى «الـدرجـة» . . ولا أذكـر أينا كان الطالع أو النازل ، وتبادلنا ـ كما هى العادة فى كل طلوع ونزول ـ السؤال عن الاحوال ثم انتقلنا الى الحـديث عن الجـار وحقـوقـه . . وغمـر كل منـا صاحبه بوابل من الثناء والاطراء ومايصحبه من ملق ورياء .

وألـح جارى ـ كعـادتـه ـ يعـرض على خدمـاتـه ويقول أنه يشرفه ، ايما شرف ويسعده غاية السعادة ان يقدم لى أى خدمة .

فشكرت له ذلك بعد أن أكدت له اننى لا يمكن أن أستغنى عنه .

وأخبرنى ـ بعد أن كست وجهه مظاهر الالم والتأثر أنه سمع «البارحة» انينا . . وخشى أن يكـون أحـد الاولاد مريضـا فأكدت له أنهم جميعا بخير ولله الحمد . . وان الانين كان مصدره ثلاجتنا التى اصيبت بالحمى مع انا لم نحتفل بعيد ميلادها الاول بعد .

وهنـا أوصى ـ جار الهنـا ـ بضـرورة الاهتـمام بأمرها فأخبرته اننى أقدر خطورة


مهندس الحارة : شاطر ومبروك

الموقف وسألتمس لها العلاج فى المستشفى الملحق بشركتها قبل أن تنتقل العدوى الى ثلاجتهم !

وسألنى عن أصلها وفصلها فأخبرته بأنها تنحدر من أسرة عريقة وهى - أى الثلاجة - يابانية الاصل والولادة . . نشأت فى « بيت العزيابتنا » وهنا أبدى جاري أسفه البالغ لحالتها واستعداده - البالغ أيضا - لان ينقلها الى دكان واحد « يده ماهرة » ويشرف بنفسه النفيسة على علاجها .

ولعق دمعة انحدرت الى زاوية فمه قبل أن يقول :

- شد حيلك !

وعبثا حاولت أن أقنعه بأن شركتها أولى باصلاحها فقد أصر على أن مهندس الحارة « راجل شاطر ومبروك !

وانتقلت ثلاجتنا فى اليوم الثانى الى دكان المهندس بعد أن نقلنا جميع محتوياتها الى « البوتاجاز » الذى تعهد بالقيام بعملها أثناء اجازتها المرضية !

وأخذ الجار العزيز يعرفنى بالمهندس وكال له المديح حتى شعرت بضيق فى التنفس . . وقبل أن يمد المهندس يده الى الثلاجة راح ينظر اليها من فوق لتحت وهو يهز رأسه مثل « أم طقة » ويتبع ذلك بحركات تنم عن الحذق والمذق .

وبعد « عنطزة » « وفنطزة » نظر الى من زاوية عينيه وقال :

- من متى بتسخن؟

فأجبته وأنا أغالب حنقى :

من يومين يادكتور !

ثم تعطف سيادته - وفتح الثلاجة وراح يعبث باصابعه فى ادراجها واشار الى علبة نسيت ان اخرجها منها .

- اسبرين ؟

نعم ولكنها ما تحسنت !

واشاح المهندس بوجهه عنى متبرما وعندما التفت الى جارى رأيت نظراته توبخنى وهمس فى اذنى :

ـ مهندس ممتاز . . ويده ماهرة ما كان يجب ان تسخر منه
ـ استغفر الله . . ولكن لماذا لا يتكرم ويتعطف ويفحصها بدلا من الاهتمام « بالاسبرين والنوفالجين » ؟

هذا مالم يجد له جاري تفسيرا لكنه يرجع ذلك ـ على كل حال ـ الى فهم وادراك ونبوغ لاتجود به الدنيا الا فى السنه مرة كبيضة الديك تماما .

وحاول النابغة الدخول فى الثلاجة لكنه عدل عن ذلك وامرنا باحضار قطة على جناح السرعة .

وقبل ان افتح فمى كان جارى يجرى فى الأزقة بحثا عن قطة .

وبناء على تحذيراته بعدم « التلبيخ » مع المهندس فقد قررت السكوت رغم ما يبدو على الموقف من « خبال »

وباستنتاج الاغبياء والاذكياء معا ادركت ان هذا المهندس يريد ان يجرى اختبارا على الثلاجة بوضع القطة داخلها تماما مثلما يستغل العلماء والخبراء الفئران والقرود فى تجاربهم . . بخ بخ . . ياللعبقرية

وعاد جارى يضرب كفا على كف ويبدى اسفه لعدم العثور على قطة فقلت له :

ـ لا تتعب نفسك . . لابد انها ذهبت عن آخرها فى سبيل العلم !

أغلق المهندس الثلاجة وتناول مطرقة و« مفتاح عجل » واندس وراءها واستخدم عبقريته !

وعندما حاولت التدخل امسك بى جارى وهو يقول :

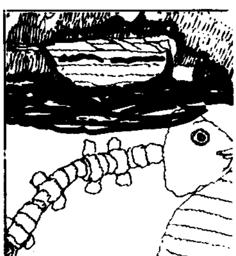
ـ ان الله مع الصابرين انتظر وسترى العجب . يالهذا العبقرى . . لم يعد للثلاجة صوت مزعج ـ اوغير مزعج ـ لم يعد لها صوت ابدا . . ابدا !

وقال لى المهندس اخيرا :

يبغالها لديتر

« لديتر » تصوروا . .
المهم اننى نقلت الثلاجة ـ بمساعدة جارى ـ على آلة حدباء . .
ونظرت الى اللافتة الطويلة العريضة التى كتب عليها :
« مهندس الحارة ـ لتصليح جميع انواع الاجهزة الكهربائية » . .
فأضفت اليها بعض الكلمات بحيث أصبحت العبارة كما يلى :
« مختبر الحارة لتصليح جميع انواع الاجهزة الكهربائية والتنفسية وابحاث الحيوان »

الناس اللى فى البحر



الناس اللى فى البحر . . !

-١-

ربــع ساعــة . . عشت فيهـا كسمكــة صغـيرة تلتصق بعشــرات السمك المصبر فى علبة الساردين والقيت بنفسى بمساعدة الكمسارى طبعا - على رصيف الشارع المؤدى الى البنقلة .

ان الحيــاة فى علبــة ساردين ممتعــة للغاية وتصوروا اننى شعرت بعد مغادرتها بضيق فى التنفس اى نعم ضيق فى التنفس .

تغير طفيف « ليس الا ، ليس الا . . »

انف اوخيــاشيم ، لا يهم وتسللت الى « البنقلة » الجــو فيهــا يشبه علبة ساردين - الى حد ما -

واستقبلنى سرب من القطــط بصخب عجيب ، كنت مغتبطـا فى بادىء الامـر ، لكننى شعـرت بخيبــة الامـل بعـد ذلـك فقد تقدمت احداها باتزان شديد ان دل على شىء فانها يدل دلالة قاطعة على انها تتمتـع باعجـاب واحترام الحى القططى قاطبة وشمت قدمها وتبادلت



معى نظــرات باردة ثم انقلبت عائـدة الى مجمـوعتهـا تلوح بذيلهـا ـ ولعلها اشارة متفق عليها فقد تفرق الجميع عنى فجأة .

السردين المعلب لا يروق لقطط البنقلة فيما يبدو . انها تفضله طازجا !

●●●

« البياض » لايناسبك ، اعرف ، عندى بيعة « شعور » جديدة ، و « ناجل » اذا كان الشعور لا يناسبك .

وشعـرت بخيبـة امـل الصيـاد . هززت له رأسى ، ومسـح جبهته المتفصـدة بظهـر كفـه ومط شفتيه . وكان قد تفحصنى تماما ، ثم اسند ظهره على ثلاجته العتيقة واسترخى فوق حصيرة صغيرة اكتسبت مع الزمن لون الارض .

●●●

قارب هرم اذاب فى المـاء زهـرة شبابه والقى به البحر الى الشاطىء بضع الواح بقيت على جوانبه ، ولاتزال موجات عابثة ترشقه بقبلاتها الساخنة ، ولم يؤثر فيه ذلك انه يمارس الجمود حتى فى دوامة الحركة . .

ومع ذلك فان طقطقة المطارق تتواصل وشخير المناشير يتعالى .

مراكب جديـدة تصنـع تأخذ وقتا كبيرا لكن هؤلاء الرجال علمهم البحر كيف يصبرون ، ان اصوات المناشير تخفى انفاس السأم والعناء .

واقتربت منهم . .

كنت اظن ان وقوفى امامهم سيوقف الحركة او يلفت نظرهم ـ على الاقـل ـ لكنهم حطمـوا غرورى بنظـرة فارغـة ، ثـم احنـوا ظهـورهم العارية التى لوحتها الشمس واستمروا فى الطرق والنشر .
ازعـاج قليـل فى البـداية لكننى تعودت عليه كما تعودت على علبة السردين قبل ذلك .

والتفت الى رجل كان يربت على كتفى برفق ، كان يهمس بشىء لم اسمعـه الا ان فمـه كان مفتـوحـا اكثـر مما يجب واشار الى بان اتبعه لاخيار فقد امسك بكتفى فتبعته بعيدا عن أصوات المناشير والمطارق .

ـ عندى بيعة تناسبك سيجان على كيفك .
وفتحت فمى ، وقبل ان الفظ كلمة واحدة عقب بطريقة آلية دون ان ينظر الى . .
السيجان قليل هذه الأيام ، ولكننى اجتهد فى احضاره ، انا اعرف الزبائن يا أستاذ . .
أستاذ ؟!

عجيب ، لقـد اصبحت هذه الكلمـة « على قفا من يشيل » حتى فى البنقلة !

لا أنكـــر غبطتى ، الا ان الامـــر لم يصـل الى حد التفكـير ـ مجرد التفكير ـ فى الشراء ، لسبب بسيط هو اننى ماجئت من أجل بطنى .

ومسحت كتفى الذى التصقت فوقه قشور السمك ، ومع اننى قد وفقت فلازلت احتفـظ بلون ارجـوانى فوقـه ، ورائحة لم اعرف مقدار اهميتهـا الا عنـدمـا وصلت البيت واستقبلتنى زوجتى وهى تضع يدها على انفها .

حقيقـة انـه من الصعب ان تجعل الناس يتذوقون الجديد بسرعة ، على ان الزكام فى بعض المواقف نعمة .

استطعت أن أغادر البيت الى البحر بعد ان أخذ منى تعهد بالمحافظة على ثوبى . . وابقائه على حالته الراهنة . . واستسلمت لتهديد وتحذير يدخل فى حكمه « مصع الاذن » واستعمال « مطرقة الرأس الجانبية » ! .

كانت هذه الاجراءات الصارمة ضرورية فيما يبدو مع اننى لا أميل الى الاقناع بها . . ولا أعتقد ان هذا الميل أو الاعتدال يمكن أن يغير شيئا فى الموضوع .

« باب جديد ، بغدادية ، شرفية ، مطار ، مدينة الحجاج ، المنداوية ، والنزلة »

هذه الجملة أصبحت مألوفة بالنسبة لى . . فقد أصبح ركوب « الخط » عادة أحاول الاقلاع عنها وبالمناسبة فانا بلا فخر أملك الكثير من ضبط النفس ، فقد استطعت أن أقلع عن التدخين أكثر من خمسين مرة حتى الآن . . !

لقد صممت هذه المرة على السير . الجو معتدل كنت أنظر الى خلق الله المحشورين فى الاتوبيسات باشفاق ، لكننى سرحت فى مشاغل الدنيا . . وأفقت على صوت الكمسارى يقول لى :

ـ حسابك ياأخ . .

كنت على موعد مع الصياد العجوز . . وهاهو ينتظرنى على الشاطىء بتكشيرة غريبة واقتربت منه ومد يده الى مصافحا . . لقد أخطأت كان يجب أن أفرق بين التكشير والابتسام ونبهنى سنه الذى اطبق عليه شفتيه أنه آخر محتويات هذا الفم الواسع « حيلة الشب يارب » !

ـ « ياد ياحامد ، ياد ياحامد »

« ياد » هذه تعنى « ولد » و« حامد » يعنى « حامد » والحاصل ان الرجل ينادى أبنه الصغير الذى وجدته يقف بيننا فجأة .

ـ « حط الشبكة فى البوت ، بشويش يا وليدى » .

وتلقى الصغير « حامد » مجموعة من الأوامر لتهيئة القارب الذى سيحملنا فى رحلة صيد لا أقول بأنها مثيرة بل سأعيش احداثها معكم .

كانت اللحظات الاولى تمضى أسرع من هذا القارب الصغير .

لايـزال البحـر ضاغطـا على أعصابه رغم تحرشات مجداف العجوز . . وصوته المتحشرج ، الذى اخمد آخر انفاس الصمت :

« ياصاحب العقل ماعندك من العقل شيء تبيع منه ؟! عندى من العقل لكن باكتسب منه »

أنه « الفلكلور » أو ـ حكمة الشعب ـ وهى بالغة الى حد كبير . . وتبقى مشكلة الصوت على كل حال « الحلو مايكمل » !

ويتعـين على ان ابـدى تأثـرا واعجابا بالغا بما اسمع استجابة لنظرات العجوز . . وهززت رأسى « كأم طقه » تأكيدا على الاعجاب .

واستمر العجوز . . ولكن صوته ارتفع هذه المرة وجعل يطوح برأسه :

« البيت اللى كتر دوسه كف القدم عنه لاتروح تضيع عازة ويتهموك . .

وتكون أنت الخسران وغيرك مكتسب منه »

يبـدو ان « حامـد » لا يهتم بما يسمـع ولا يبـدى أى حركـة تدل على المشـاركـة فى الاستمتـاع ، وهـذا لا يروق للعجوز ، بطبيعة الحال ـ خاصة عندما يدرك ان ابنه

لا يقدر مواهبه التى لاتقف عند حد . .

كانت هذه الاغـانى بالنسبـة للصغـير كجـرعـات الدواء يتعين عليه تناولها ثلاث مرات بعد الاكل ومنها ما يؤخذ عند النوم وأكثرها مرارة مايؤخذ على الريق .

واتجهنا بانظارنا الى الدوامة التى أحدثتها الحركة وسألت العجوز فأجابنى :

ـ أظنه قرش . .

وحـول نظـراتـه عنى دون اكتراث . . قرش . . « بمنتهى البساطة كنت أردد هذه الكلمة المرعبة قبل أن اتنبه :

ياالهذا العجوز . . واخرجنى من ذهولى :

ـ مالنا وماله . . خليه ملهى عننا البوت صغير ومانقدر نصيده » .

ومـع ان حديث العجـوز عن قدراتـه ومـواهبه لا يقف عند حد الا أن التصدى للقرش كان غير وارد .

كانت الحركة قد اقتربت من القارب ولمحت شبحا اسود تحت الماء بحجم القارب . . واشرت الى العجوز وأنا افتح فمى دون ان أتكلم .

كنا ننتفض جميعا . . انا من شدة الخوف طبعا . . أما العجوز وابنه فمن شدة الضحك أى نعم من شدة الضحك . . تصوروا !

-٣-

تشجع يارجل . . سيقلب القارب وماذا فى ذلك ؟

القارب ليس ملكك ، لن تخسر شيئا . . صحيح ان ثيابك ستبتل لكن الأوراق النقدية لن يتلفها الماء فأنت لاتحمل منها شيئا . .

أرأيت أن الأمر فى غاية البساطة وما من داع للخوف اطلاقا ؟؟

اوه ، أنت لاتجيد السباحة لايهم ستبتلع قليلا من الماء المالح ، تخيل انك تشرب عصير البرتقال أو الاناناس ممزوجا بالملح بدلا من السكر ـ كما يحدث فى البيت أحيانا ـ وسيقترب منك « القرش » ويبدأ فى مداعبتك ـ كما يحدث فى البيت أحيانا ـ وقد تتطور المداعبة فتختفى احدى رجليك أو كلاهما معا ، وماذا فى ذلك ؟! ستحتفظ برأسك سليما ـ ربما ـ

ولكن ماذا يزعجك ؟! هب انك مت هل ستنقلب الدنيا ، هل سيتغير وجه التاريخ لن تخسر شيئا بل على العكس ستكون أنت الرابح ، تذكر ان صورتك ستنشر فى الجرائد ، دون أن تدفع قيمة الاعلان ، ثم ـ وهذا شىء مهم ـ لن يراك الدائنون بعد اليوم .

الم أقل لك ؟ أرأيت ؟!

كان أحدهم يتحدث داخل نفسى . . ابتعد « القرش » الضخم عندما قال لى العجوز :

ـ أنت خايف ؟

ـ أعوذ بالله وأخاف من ايه ؟ الحكاية كلها قرش ولا قرشين ، تفاريق يعنى . .

ـ ومين قال أنه قرش ؟

ـ صحيح ، لازم يكون ريال « براصه »

انا شايفه كبير شوية .

دا أبو سلامة ياوليدى .

ـ « أبوسلامة »؟!

وفهمت ان « أبو سلامة » ـ اللى فلتته « أم سلامة » على حَل شعره ـ هو سمك «

الـدلفـين » وهـو ـ كما تعرفون ـ ذكي جدا وحساس وعنده ذوق ، وهو يعطف على الانسان كثيرا رغم أنه لا يأمن شره سبحان الله !

لم يستعمـل الصيـاد شبـاكـه لكن ابنـه « حامد » ظفر بثلاث سمكات صغيرة صادها بسنارته .

لا تـزال الشمس تنظـر الينـا من خلف سحـابة رمادية بعين نصف مغمضة بينما اكتسى جانب من السماء ثوبا برتقاليا اخاذا .

كان العجوز منشغلا بتحويل اتجاه القارب عندما كان حامد يقضم قطعة أثرية من السمك المجفف .

ـ عم « نافع » هذا هو اسم العجوز يشير الى شيء لا أراه .

ـ شايف المينا القديم ؟

يالهـذا الـرجـل العجيب ان عينيه ٦ على ٦ لكنني أتعذب كثيرا عندما أحاول الوصول الى أذنيه .

وأكـدت لى ابتسـامـة « حامـد » السـاحـرة أنـه يفهم الوضع تماما مع أنه كان يتشـاغـل باشعـال فتيلة الفـانـوس التى التصقت بزجـاجته المكسوة بـ طبقة من « الهباب »

كنت أنظر مع « حامد » الى تجمعات السمك الصغير بجانب الضوء الخافت وحاول « حامد » التقاط احداها من الماء وقد نجح فى ذلك ، لكن الفانوس سقط فى الماء اثر رفسة غير مقصودة تدخل فى العرض الشيق .

واضطرب القارب تحت اقدامنا بعد ان قفز العجوز الى جانب حامد واخذ يتأمل الفانوس الذى يتراقص مضيئا فوق الامواج وما هى الا لحظات حتى غاص فى الماء منطفئا ، واهوى العجوز بكفه على جانب القارب بعد ان زاغ عنه الصبى فسقطت عمامته فى الماء ، وتلقيت مقدارا لابأس به من الصفع والركل بدلا من « حامد » الذى كان يستعمل وجهى كدرع .

صدقونى - رغم انف ابريل - ان ٩٥ فى المائة من زبـاين ابحر يديرون للبحر ظهورهم « مايدولوش » !!

الناس يتعارفوا يا أستاذ ، اجتماعيين ، « لكان » !! ومع ذلك فان واحدا من الخمسة فى المائة الباقين « محسوبكم » يحاول ان يخفف دمه التقيل و « **يفصده** » فى البحر ليكتسب « **شوية حداقة** » من الماء المالح !

وامام اعراض الناس وصدودهم كان على ان اجبر بخاطر البحر فجعلت اردد مع فرقعة ايقاعية على الاصابع وخلافها :

« **فى البر لم فتكم فى البحر فتونى** »

وكذا ، وجدت نفسى محاطا بالسباحين من خلق الله ، فتأكد لى ان « **الفتة** » تروق لاكثر الناس .

●■●

المـاء منعش ، اننى احـاول الاحتفاظ بسعادتى رغم قذائف الطين « **البازوكية** » التى تنطلق من ايدى « **الشحوطة** » .

دمهم خفيف بشكل ، الله يحفظهم ! -

واستقرت احدى هذه القذائف بين كتفى « **سيد قشطة** » الذى كان يسبح بجانبى فزمجر وكشر وكان على ان اغادر الماء قبل الفيضان ! .

●■●

السيارات تتقاطر الى هذا المكان ثم تتنفس الصعداء وتربض مع زميلاتها بعد ان تخرج اثقالها من خلق الله وتلقى بهم فوق المقاعد المتداعية التى نخرت قوائمها « السبخة » .

والقيت بنفسى على واحد من هذه المقاعد وضممت صوتى الى الاصوات التى

كانت تهتف :

- **ياباردا ، ياباردا**

ولم اكن اعرف من هو هذا البارد قبل ان يقف امامى شاب كسول يتثاءب :

- امرك .

- **لازم انت الـ ...**

- بيبسى كولا ، سفن اب ـ ميراندا

اذن فهذا هو « **البارد** » او من يأتى بالبارد

- امرك

- **اى شى بارد اذا سمحت ..**

- حاضر ..

قالها وهو لايزال يقف فى مكانه متثائبا وكررت مرة اخرى :

- حاضر سمعتك ..

واخذ ينقل قدميه بتثاقل عجيب ، صحيح ان بعض الناس يكتسبون طبائعهم من طبيعة اعمالهم !

● ■ ●

ثلاثة من الاطفال خرجوا لتوهم من البحر ، لايزال الماء يقطر من اجسادهم واخذوا يتراكضون والكرة تترنح بين اقدامهم وما هى الا لحظات حتى تحول الشاطى الى ملعب بعد ان اصبح عدد اللاعبين اكثر من ثلاثين من مختلف المقاسات ليس بينهم حكم ولا يعترفون بـ « **الفاولات** » وليس هناك « **أوت سايد** » حتى لو وصلت الكرة الى وسط البحر ..

هاهو « **القهوجى** » قادم ، انه مشدود الى اللعب ، وقد استطاع بخفة ومهارة وبعد ان سكب نصف محتويات القارورة واطاح بالبراد من يده على الارض استطاع ان يلتقط الكرة ويرقصها فوق رأسه ، ولاحظت انه يرتدى « **فلينة** » كروية مكتوب عليها :

« **سنتر هاف فريق ابحر** » !

وتناولت منه ، كان البارد مسخنا ودرجة حرارته مرتفعة جدا ، **وادركت ان هذا القهوجى ينام فى الثلاجة بدلا من القوارير** !!

سعيدة

يعجبنى « **أسبوع المرور** » كفكرة تهدف الى سلامة الانسان الذى يصر دائما ان يكون قاتل نفسه ..

والمسألة **بتفاؤل لا اميل اليه** ـ قد لاتصل الى حد « **الثلاجة** » لكنها تؤدى غالبا الى ان يستبدل الانسان غرفة نومه بغرفة فى احد المستشفيات الخاصة او العامة ..

هذا الاسبوع يضع امامى حقيقة اكتشفتها فى نفسى وهى كراهيتى للسيارة التى توازى كراهيتى للموت .

والسيارة هى احلامى التى اتمنى ان لا تتحقق .

اخاف ان اقودها ، اخاف وانا اركبها ، واخاف ان استعمل الطرقات التى تستعملها **وكل الطرقات تستعملها** .

اخاف ـ أيضا ـ أن أنام وأخاف أن أحلم .

احلامى سيارة ، اما مقلوبة وانا معجون بداخلها ، او مصدومة ورأسى مشنوق فى زجاجها الأمامى ، او غير مقلوبة ولا مصدومة وانا مفرود تحتها **مثل فطيرة فى يد « المطبقانى »** .

واصدقائى الذين يستعملونها يكتشفون هذه العقدة .. ويتناقلون « **هذا الاكتشاف** » بينهم من باب تعميم الفائدة !

ان حرصى فى اخفاء هذه العقدة لم يصمد ، فيكفى ان تقترب السيارة التى اركبها من اخرى امامها حتى امط قدمى الى الامام بعنف واتشبث بأى شئ تناله يدى واحمى وجهى باليد الأخرى وانخرط فى سلسلة من الأقوال المأثورة فى دفع البلاء .

الناس يستمتعون بالسيارة .. كوسيلة للنزهة .. للراحة .. **للانفلات** .. وانا اتخيل فيها المستشفيات .. والعمليات الجراحية .. المجبر ـ **وهذا أضعف التخيل وأرقه** .

ولقد جربت أن أمزح مع نفسى مزحة ثقيلة فجعلت أوهم من أركب معهم من اصدقائى ـ مضطرا ـ اننى لا اعبأ ..

وأحاول أن اصبغ وجهى بالطمأنينة الزائفة وأؤكد لهم ـ **فى غير مناسبة** ـ ان العمر واحد .. وان الموت لا يأتى الا مرة واحدة .. وان الحياة .. لم يعد فيها شئ يغرى ـ **رغم انى احبها وأحب فيها أكثر هذا الذى لايغرى** ـ ولكن الخوف والنظرات الشاردة يسفهان هذه الخطط التى استنفدت شجاعتى كلها فى حبكها ..

اسبوع المرور .. على أى حال يهدف الى سلامة العقلاء .. اما المجانين .. أما العابثون .. الذين يستخدمون الطرقات « **مدرجات** » **للاقلاع بلا هبوط** فهؤلاء يعشقون « **الثلاجات** » **ويتعاملون** مع المستشفيات وهم اصدقاء « **المجبر** » **من ايام الدنيا دنيا** .

أما أرواحنا ـ ولا أقول أكبادنا ـ التى تمشى على الارض فاننا سنسلبهم حريتهم .. وندوس على كل ما تحمله نفوسهم الطاهرة من الرغبة فى المرح ما أمكننا .. **و** « **سعيدة** » ياعالم .. « **الهففان والخبطان** » !

شاعر دفعة واحدة



شاعر دفعة واحدة

لم أتنـاول أى مسهـل . ولم اعـرج على دكـان العطـار من وقت بعيد . . ومع ذلـك فالحـركة فى الداخل على اشدها . . اننى احتاج الى مخ نظيف ـ ياحسرة! يقنعنى بان من العقاقير مايمكن تناوله عن طريق الاذن كأن تسمع «تساهيل» مثلا!

وبكل بطاطة ـ أقصد بساطة ـ لافرق على أية حال ، ويمكنكم الرجوع الى أغنيـة صبـاح التى بدأت بالبسـاطـة وانتهت بالبطـاطـة . . التى نسميهـا أيضـا بطــاطس ـ من بطس يبطس كما تقــول عطس يعطس راجـع كتـاب «الطـرافس والنفائس فى العلاقة بين العاطس والبطاطس» .

وبعد البحث والتنقيب فى مئات المراجع والمعاجم تبين لنا ان المؤلف ـ نفعنا الله بعلمه ـ يرجع العلاقة بين العاطس والبطاطس الى ان الأول يأكل الثانى .

نعود الى الموضوع

الحـركـة لاتزال مستمرة وكان لا بد من مراجعة الطبيب النفساني الذى اتضح ـ فيما بعد ـ أنه شاعر مصقع مبلقع واخذ يستجوبني .

- ماذا دهاك وماذا فيك يارجل؟!
فقلت له وانا امسك ببطنى:
- تساهيل والرزق على الله يادكتور
- من متى كانت البداية؟
- يومين والثالث!!
وهنا صاح الدكتور وهو يمسك بتلابيبى
- بأبى أنت وأمى انها «هينهات الوجدان»
- لم أفهم!
- أعــراض الشعــر يارجــل .. والآن سأوجـه اليـك بعض الاسئلة فأجب عليهـا بأسلوب رشيق دون ان تتعمد النظم وستري.
وضغطت على أعصــابى التى كادت تتمــزق من شدة الفــرح .. شاعــر .. دفعة واحدة وفى يوم واحد انها المعجزة ولكن لماذا هذا التواضع يا استاذ؟ لم لاتقول انها الموهبة .. أى نعم انها الموهبة!
واخذ الدكتور يسأل وانا اجيب:
- هل فى العائلة شاعر؟
- «ابدا .. وبدا .. وبدا»!!
- هل تمارس البكاء بكثرة؟!
- «أسال دموع عينيه ..»
- من هو مثلك الأعلى؟!
- «قيس بن الملوح»
- ماذا تعرف عنه؟
- «مغـرم صبابا ..»
- وماذا تحفظ من شعره؟
- «يم العيون الزرقة .. يم العيون الزرقة»
- مارأيك بالمتنبى؟

ـ لا بأس به . . الا ان قصيدته «ست الحبايب ياحبيبة» لى عليها بعض المآخذ

ـ كيف تزن بيتا من الشعر ؟!

أضعه فى كفة وأضع «عبود» فى الكفة الأخرى .

ـ من هو «عبود» ؟

ـ «مالى هدومة» لكن دمه من «البحر الخفيف» !

وهنا استأذننى الطبيب ليسجل بعض الملاحظات ، وفى أثناء ذلك استسلمت لـ «هينمات الوجدان» وأخذت أتسلى بنظم قصيدة من خمسين بيتا اسمعتها للطبيب فيما بعد فأعجب بها أيما اعجاب .

واستمر يسألنى وانا أجيب !

ـ فى أى الأوقات بدأت هذه الأعراض ؟!

ـ فى اللي . . . ل . . لما خلى . .

ـ هل تتلمذت على يد أحد من الشعراء ؟

ـ على يد «الحاج»

ـ ومن هو هذا الحاج ؟

ـ الله يسامحك يادكتور . . لاعب الكورة سابقا وخطاط الجريدة حاليا «١»

وخرجت من عيادة الطبيب بعد ان حصلت على تقرير طبى هذا نصه :

«بعد اجراء الكشف الطبى على الموضح اسمه بعاليه والملصقة صورته بجانبه تأكد لنا انه مصاب بهيمنات فى الوجدان وانفتاح فى الأوردة الدموية المتصلة بالنخاع واندلاق فى المشاعر الهيامية . .»

صورة مع التحية لمستشفيات الأمراض العقلية «فى شهار» والعصفورية والعباسية !

١ ـ أقصد جريدة «البلاد» وليس «المدينة» التى أعمل بها الآن . . فقد تدحرجت بين الصحف فى تمريرات قصيرة وطويلة وبالكعب أحيانا !

الفهـرس

رسوم : دياب-على وراق ■ اخراج : عبدالراضى عبدالمبدى